مجلة جامعة دمشق للآداب والعلوم الإنسانية

اسم المقال: الاتجاه الديني في رباعيات عمر الخيام
اسم الكاتب: د. فخري بوش
رابط ثابت: https://political-encyclopedia.org/library/2866
تاريخ الاسترداد: 2025/06/08 07:23 +03

الموسوعة السياسيّة هي مبادرة أكاديمية غير هادفة للربح، تساعد الباحثين والطلاب على الوصول واستخدام وبناء مجموعات أوسع من المحتوى العلمي العربي في مجال علم السياسة واستخدامها في الأرشيف الرقمي الموثوق به لإغناء المحتوى العربي على الإنترنت.
لمزيد من المعلومات حول الموسوعة السياسيّة - Encyclopedia Political، يرجى التواصل على info@political-encyclopedia.org

استخدامكم لأرشيف مكتبة الموسوعة السياسيّة - Encyclopedia Political يعني موافقتك على شروط وأحكام الاستخدام المتاحة على الموقع https://political-encyclopedia.org/terms-of-use

تم الحصول على هذا المقال من موقع مجلة جامعة دمشق للآداب والعلوم الإنسانية ورفده في مكتبة الموسوعة السياسيّة مستوفياً شروط حقوق الملكية الفكريّة ومتطلبات رخصة المشاع الإبداعي التي ينضوي المقال تحتها.

الاتجاه الديني في رباعيات عمر الخيام

د. فخري بوش*

الملخص

من خلال الدراسة تبيّن أنَّ الشاعر عمر الخيام قد ضمَّن رباعياته آراءه الخاصة حتى لا يكتبها في كتاب منفرد، ويعلّق العلامة محمد قزويني في مقدمة ترجمة الشاعر أحمد الصافي النجفي على الترجمة الإنكليزية للرباعيات التي قام الشاعر الإنكليزي فيتزجرالد، فيقول هناك ترجمات عربية كثيرة جدًا، وكانت ترجمة فيتزجرالد هي التي اعتمد عليها أولئك المترجمون العرب؛ لأنَّها أجود الترجمات شاعرية، وفصاحة، وبلاغة؛ بل إن فيتزجرالد هو الذي عرّف الغرب والشرق بالخيام الشاعر.

وقد توهّم بعض الدارسين عند قراءة الرباعيات وترجمتها أنَّ الخيام صوفي، معتمدًا في وهمه على بعض الأفكار التي أوردها الخيام في رباعياته عفو الخاطر، وبعضها انتشر بين المذاهب.

فهو أقرب إلى الدنيوية منه إلى التقوى، وأقرب إلى الشك منه إلى اليقين، ليس بصاحب فلسفة واضحة في الحياة؛ -إذ إنَّه يُعَدُّ من الشخصيات القلقة في الإسلام- ولا صاحب رسالة يدافع عنها؛ بل هو مضطرب اضطراب الشخص الذي تنازعه عقلية حرة يريد أن يفهم كل شيء في الكون، ولم يتأتَّ لها أن تفهم أمورًا، فانحرفت عن جادة الإيمان إلى الشك. ولكنه ليس من أهل السكر والعربدة، فلو كان كذلك لما حافظ على مكانته الفكرية والأخلاقية في شبابه وشيخوخته، ولما نال تلك الحظوة والمكانة السامية في عصره إلى يومنا هذا.

وأخيرًا، لو استفاق الخيام من سباته الأبدي لَتَفاجأ بما حظيت به رباعياته من العناية والاهتمام لا لشيء سوى لفهمه معنى الحياة؛ وفق ظروف عصره التي عاشها، فهو لم يكن كافرًا ولا مشركًا؛ إنَّما كان مسلمًا غير متمسك بتعاليم الدين، له فلسفته الخاصة في فهم التعاليم الإسلامية، شأنه في ذلك شأن الفلاسفة الذين سبقوه، أمثال ابن سينا. ولم يكن خليعًا سافل الطبع؛ إذ من غير المعقول أن يكون جليس الملوك ونديمهم خليعًا.

* جامعة دمشق، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم اللغة العربية.

The Religious Approach in Ruba'iyaat of Omar Al_Khayaam

Dr. Fakhry Bush**

Abstract

This study shows that Omar AL-khayaam included his own opinions in the his work "Ruba'iyaat Al Khayaam" in order not to have to include them in a separate book. In his comment in the preface to the translation by poet Ahmad Al-Safi Al-Najafi of the English translation of the work by the English poet Fitzgerald, Scholar Mohammad Qaswini says that there are many translations of the work into Arabic, but that it was Fitzgerald's English translation that was used by Arab translators as it was the best and most poetic and eloquent translation. In fact, it was Fitzgerald who introduced Omar Al-Khayaam to the west and the East.

While reading "***Ruba'iyaat Al-Khayaam***", some scholars have imagined that Al-Khayaam was Sufi depending in that on some of the thoughts Al-Khayaam introduced in his work unintentionally of which some have spread among the different schools.

In fact, he is closer to secularism than to piety and closer to skepticism than to certitude. He is not defending any clear philosophy in life, nor any message. He is a confused person according to Islam, troubled by his free mentality to understand everything on the Globe, yet, he did not have an opportunity to understand issues in life, which made his thoughts deviate from belief to skepticism. But he was not a drunkard person neither a quarrelsome one. If he had been so, he wouldn't have preserved his intellectual and ethicist position throughout his young and old age and he wouldn't have gained that reputation and high status until today.

** Damascus University, College of Arts and Human Sciences, Department of Arabic Languag

Finally, if AlKhayyam had come back from his eternal sleep, he would have been surprised by the interest and attention his "***Ruba'iyaat***" has gained only because of his understanding of life according to the circumstances of his age. He was not an atheist nor a polytheist, but an uncommitted Muslim who had his own philosophy in understanding the teachings of Islam like all the precedent philosophers, such as Ibn Sina and Al-Farabi. He was not a bad tempered or dissolute person because it would not have been reasonable for him then to accompany and sit with kings.

صحبتي مع الخيام طويلة ومديدة، وقد عرفته ضمن من عرفتهم من شعراء الفرس الكبار وأدبائهم العظام منذ أكثر من عشرين سنة.

أمَّا هو فقد كان على الدوام أشغل لفكري، وأدنى إلى إثارة اهتمامي بشعرهم منه. فإذا كنتُ قد عرَفتُ الفردوسي عن طريق شاهنامته، والسعدي عن طريق كلستانه وبوستانه، وحافظًا الشيرازيَّ عن طريق ديوانه الرائع "الغزليات"، ومولانا جلال الدين الرومي عن طريق المثنوي، وعرفت غير هؤلاء أيضًا عن طريق بعض ما كتبوا أو بعض ما كتب عنهم، فقد عرَفت عمر الخيام عن طريق رباعياته نفسها التي ترجمها الإنكليزي فِيتزجرالد، ثم ترجمها إلى العربية كلٌّ من وديع البستاني، ومحمد السباعي، وأحمد رامي، وأحمد حامد الصرّاف، وجميل صدقي الزهاوي، ويوسف حسين بكّار، ومصطفى وهبي التل (عرار)، وعبد الحفيظ محمد حسن، ومحمّد الفراتي، وغيرهم كثير، وقد ذكر الدكتور يوسف بكار أنّ[1] "أصول الترجمات والمنظومات ومصادرها كثيرة ومتفاوتة، كما يأتي:

1. إحدى وعشرون ترجمة عن الفارسية مباشرة.

2. ست عشرة ترجمة عن فيتزجرالد بطبعاتها المختلفة"، وغير ذلك من الترجمات والمنظومات والأصول.

لهذا، عندما استقرَّ رأيي على كتابة هذا البحث تملَّكتني الحيرة في بادئ الأمر؛ أي الجوانب التي أفصح عنها؟ وأي النواحي أهملها؟ وكل جانب من جوانب حياة الخيام لذيذ شائق، وكل ناحية من نواحي أدبه الرفيع مغرية تستمرئها النفوس وتشتاقها الأرواح حتى انتهيت بعد لأي إلى أن أقصر كلامي على ناحية واحدة، وهي الاتجاه الديني في الرباعيات.

عمر الخيام: هو الفيلسوف، والرياضي، والمنجّم، والطبيب، والشاعر، والكاتب، "أبو الفتح عمر بن إبراهيم الخيامي[2] النيسابوري "الملقب بحجّة الحق، ولد الخيام في نيسابور، نحو (439هـ/1048م) وهو الرأي الأرجح[3]، وكانت شهرة الخيام ترجع إلى الحكمة والطب والنجوم والرياضيات، وقد ترك رسائل في الفلسفة والطبيعيات والكيمياء، وعهد إليه السلطان ملكشاه

---

[1]- بكّار، يوسف حسين: الترجمات العربية لرباعيات الخيام "دراسة نقدية"، منشورات مركز الوثائق والدراسات الإنسانية، جامعة قطر، الدوحة، 1408هـ/1988م، ص: 41.

[2]- جاء في حواشي "جهار مقاله" أنَّ لقب الخيام يرد في أغلب الكتب العربية (الخيامي)؛ مضافًا إليه ياء النسبة، ولكنه يرد في أغلب الكتب الفارسية وفي رباعياته "خيام"، وكلاهما صحيح؛ انظر: سمرقندى، نظامى عروضى: حواشي جهار مقاله، ص: 209.

[3]- هناك آراء عدة مختلفة في سنة ولادته؛ انظر: بوش، فخري: تأثير أبي العلاء المعري في رباعيات الخيام، رسالة ماجستير، مخطوط، جامعة عين شمس، 1997م.

أمور الرصد، ورتب له الزيج الجلالي[1] وينسب إليه كتاب "نوروز نامه"، وقد طبع هذا الكتاب في تهران سنة 1312هـ.ش/1934م[2]؛ فضلًا عما ينسب إليه من الأشعار الفارسية والعربية.

غير أنَّ شهرة الخيام ترجع في العصر الحاضر إلى الرباعيات التي اشتهرت في العالم أجمع، وترجمت إلى عدد كبير من اللغات، فإذا دخلت مكتبة المتحف البريطاني في لندن طالعك من فوق رفوفها (153) كتابًا عن عمر الخيّام ورباعياته؛ بل إنّك إذا ولجت أية مكتبة من مكتبات القاهرة، وذكرت اسم عمر الخيّام أو رباعيّات الخيّام لأذهلك أن تجد أمامك عشرات الكتب والطبعات بجميع اللغات للخيام ورباعياته[3]. ومن أهم الترجم ات التي لاقت نجاحًا كبيرًا الترجمة الإنكليزية المنظومة التي قام بها الشاعر الإنكليزي فيتزجرالد، ونشرها سنة 1859[4].

أهمل الخيام في حياته أن يكتب سيرة نفسه بقلمه، أو كتبها ولم تصل إلينا، ولكن الثابت والمؤكد أنَّه لم يكتب في الفارسية من الشعر سوى الرباعيات وحدها. أمّا هل جمع كل ما كتبه من هذه الرباعيات، وضمَّها بين دفتي كتاب خاصّ بنفسه، أو أملاها على أحد من طلابه، فالأمر مجهول، و سيبقى مجهولًا إلا إذا عُثِرَ على دليل ماديٍّ يقلب المسألة رأسًا على عقب، ويغيِّر مجرى البحث تغييرًا تامًّا في يوم من الأيّام.

أمَّا فيما يتعلق بنسبة الرباعيات إلى الخيام، وعددها فهذا ليس من أهداف هذا البحث، حتى فيتزجرالد الذي اعتمد على النسخة الموجودة في مكتبة بُدلين التي يعود عهد كتابتها إلى أبعد من 1460م؛ أي بعد وفاة الخيام بنحو 370 سنة، وهو نفسه فيتزجرالد يعتقد أنها نسخة محرّفة ومدخول فيها ومنحول. فأول طبعة من ترجمة الرباعيات لفيتزجرالد احتوت 75 رباعية، وقد زادت في الطبعة الثانية حتى بلغت 110 رباعيات، وأمَّا الطبعتان الثالثة والرابعة فقد احتوتا مئة رباعية ورباعية. "وعليه، فقد رجَّح الباحثون أنَّ يد التعديل والتحوير سواء بدافع الخطأ والنسيان أو بدافع الأهواء الشخصية للناسخين قد أدّت دورًا كبيرًا فيها؛ إذ أصبح من الصعب الجزم بنسبتها إلى الخيام، ولاسيَّما وقد اختلف عددها بين مخطوط وآخر؛ من (158) رباعية في أحد المخطوطات إلى (76) رباعية فقط في مخطوط آخر؛ إلى (206) رباعيات في مخطوط ثالث؛ إلى

[1]– قنديل، إسعاد عبد الهادي: فنون الشعر الفارسي، د.ط، مكتبة سعيد رأفت، د.ت، ص: 192؛ للتوسع انظر: ابن الأثير: الكامل في التاريخ، حوادث 467.

[2]– صفا، ذبيح الله: تاريخ أدبيات در إيران، جـ2، تهران، 1342هـ، ص: 519.

[3]– حلمي، مراد: رباعيات الخيام وكتب أخرى، كتابي، د.ت، ص: 34.

[4]– قنديل، إسعاد عبد الهادي: المرجع السابق، ص: 192–193.

(328) رباعية في مخطوط رابع؛ إلى (464) رباعية في خامس؛ إلى (800) رباعية في سادس عُثِرَ عليه في جامعة كمبريدج، ويحمل تاريخ سنة 1773"[1] ...إلخ

ومما لا شكَّ فيه أنَّ فيتزجرالد كان يزيد في كل طبعة كثيرًا من الرباعيات التي لا وجود لها. ومهما يكن من أمر "فالرباعيات نتاج فارسي جمعت في أواسط القرن التاسع الهجري بعد مضي ثلاثة قرون ونصف على وفاة عمر الخيام؛ ولا يُعلمُ عددها بدقّة[2]"؛ لذلك حارَ الأدباء والنقاد في فهم الخيام والجزم في نزعاته وآرائه نتيجة لحيرتهم في فرز رباعياته الحقيقية من بين الرباعيات الكثيرة المنسوبة إليه، والمدسوس بعضها عليه من جانب خصومه من الصوفيين الذين طالما سخر (الخيام) منهم، ومن نفاقهم وسفه تعاليمهم؛ لذلك فلا غرابة في أن يكونوا قد دسّوا عليه من الرباعيات ما يظهره بمظهر الملحد الكافر أو الماجن المستهجن إلى آخر هذه الاتهامات التي نسبت إليه، ومما يؤكد هذا الظن أن كثيرًا منهم ناصبوه العداء في حياته جهرًا إلى حدِّ تهديدهم إياه بالقتل؛ ممَّا دفعه إلى تجنبهم والانزواء في بيته[3]. ويجب ألا يغرب عن البال أن العلّامة كول عميد جامعة كمبردج، وهو أكبر مستشرق أخرجته إنكلترا على الإطلاق هو أوّل من عرّف فيتزجرالد إلى عمر الخيام، ووجَّهه إلى رباعياته، وحمله فوق ذلك على دراسة شعره، على أن فيتزجرالد لم يكن يفهم الأصل الذي يترجمه فهمًا حرفيًا؛ بل كان يترجم مستوحيًا المعاني التي ألهمت الخيام، ومع ذلك فليس في إمكان أي ناقد أو متصدٍّ لترجمة فيتزجرالد أن يجد نقصًا أو تقصيرًا يغيِّر المعاني أو ينقص منها أو يشوِّهها؛ لذلك من يرجع إلى تاريخ الأدب الفارسي لا يجد سوى إشارات غامضة إلى عمر الخيام، أمَّا كتب الأدب أو تاريخه، فهي خالية من أية إشارة على أنه شاعر[4]. يقول حلمي مراد[5]: "أخشى ألا يصدقني القارئ إذا قلت إن فضل اكتشاف رباعيات الخيام والإشادة بروعتها، وتنبيه العالم إلى قيمتها الأدبية وعمق فلسفتها؛ إنما يرجع إلى أدباء الغرب؛ إلى توماس هايد الإنكليزي، وفون هامر النمساوي، ونيكولا الفرنسي، ورون الألماني، وجوكوفسكي الروسي، وكريستنس الدنماركي.

---

[1] حلمي، مراد: المرجع السابق، ص: 42.

[2] جمعة، حسين: مرايا للالتقاء والارتقاء بين الأدبين العربي والفارسي، (دراسة) من منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2006، ص: 119.

[3] حلمي، مراد: المرجع السابق، ص: 42.

[4] المنجوري، محمود: عمر الخيام كما أعرفه، المقتطف، فبراير، 1944، ص: 172

[5] حلمي، مراد: المرجع السابق، ص: 35.

وإن أقدم مصدر للخيام هو "الوصية" المنسوبة إلى نظام الملك صديق عمر الخيام وزميله في طلب العلم الذي كان وزيرًا للسلطان ألب رسلان بن آرطغرل بك التتري مؤسس دولة بني سلجوق. ومضمون الوصية:

قال نظام الملك في وصيته إنَّ أباه أرسله إلى نيسابور؛ ليتلقّى العلم على العالم الإمام الموفق النيسابوري، وهناك لقيَ تلميذين في مثل سنه أحدهما عمر الخيام، والثاني الحسن الصّبّاح، فنشأت بينهم صحبة وصداقة، وقال في عمر إنَّه من أهل نيسابور، أمَّا الحسن فيما بعد زعيم طائفة الإسماعيلية التي يعتقد أفرادها بوجوب ذبح جميع من يخالفهم من غير تمييز ولا تفريق. وتقول الوصية المبهمة إنَّ الرفاق الثلاثة اتفقوا على أن يجتمعوا في مستقبل الأيام، فإذا كان أحدهم قد أصاب ثراءً أو جاهًا أو نعمةً قاسمه الآخران حسن حظه.

ولما تقلد نظام الملك الوزارة، وعرف ذلك صاحباه ذهبا إليه يطالبانه إنجازًا لوعده ولم يذكر نظام الملك في وصيته ما أعطاه للحسن ولكنه ذكر أنه أجرى على عمر رزقًا قدره 1200 مثقال من الذهب تعطى له من خزينة نيسابور ليستعين بها على متابعة درس الفلك[1].

اتصل اتصالًا وثيقًا بملكشاه السلجوقي، وقد صحّح التقويم بأمر منه[2]، وسُمِّيَ بالزيج الملكشاهي، كما أقام المرصد (رصد خانه) وظل يعمل فيه حتى قتل ملكشاه[3]، كما اتصل أيضًا بالسلطان سنجر السلجوقي، وعالجه في شبابه، وكان موضع إعزاز وتكريم السلاطين؛ كان الاثنان يجلسان إلى جوار بعضهما على العرش[4]، كما كان الخاقان شمس الملوك في بخارى يعظمه كثيرًا، وكان الخيام يجلس معه على العرش[5]. وكان تلميذًا لابن سينا[6]، وتلوه في أجزاء علوم الحكمة[7]. تميَّز الخيام بعقل راجح، وقوة ذاكرة، وحدّة مزاج، ورغبة جامحة للمعرفة والعلم وإيمان مطلق بالعقل كأداة ووسيلة للعلم ولتحقيق الوجود وإثبات الذات وكانت له ضنة في التأليف، كما قال رأي إنه كان سيئ الخلق[8]. وليس بطيب السمعة[9].

---

[1]- المنجوري، محمود: المرجع السابق، ص: 172؛ والقصة مفصلة في تاريخ كزيده، نشر براون، بمباى، 1273هـ/ 1910م، جـ2، في: جهار مقاله للنظامي العروضي السمرقندي، ترجمة: عبد الوهاب عزّام، ويحيى الخشاب، القاهرة، عام 1949م، ص: 155-156

[2]- ابن الأثير: الكامل في التاريخ (كامل التواريخ)، حوادث 467.

[3]- نفيسى، سعيد: تاريخ ونظم ونثر در إيران ودر زبان فارسى، جلد(1)، تهران، 1344هـ.ش، ص: 61.

[4]- قلى خان هدايت، رضا: مجمع الفصحاء جـ2، جلد(1)، تهران، 1339 هـ.ش، ص: 607.

[5]- ذبيح الله، صفا: تاريخ أدبيات در إيران، دار نشر ابن سينا، جـ2، تهران، 1352هـ.ش، ص: 525.

[6]- عباس، إقبال: باحوال حكيم عمر خيام نيسابورى، مجله شرق، سال أول، د. ت.

[7]- زهراى خانلرى، فرهنكـ: أدبيات فارسى، انتشارات بنياد فرهنكـ إيران، 1348هـ.ش، ص: 501.

[8]- الشهرزوري، شمس الدين محمد بن محمود: نزهة الأرواح وروضة الأفراح ومختصره "التاريخ الألفي" الذي عثر عليه زوكوفسكي المستشرق الروسي؛ انظر: براون: المرجع السابق، ص: 311-312.

[9]- قلى خان هدايت، رضا: مجمع الفصحاء، تهران 1339هـ.ش، جلد(2)، ص: 607.

ولم نسمع أن شاعرًا أوذِيَ في سمعته بعد موته كما أوذِيَ الخيام أو أصابه من الاتهامات الكاذبة، أو الافتراءات المدبَّرة ما أصاب هذا العبقري العظيم والأديب الفحل والنابغة الأوحد. ولو سألنا أي واحد من أولئك الذين سمعوا وقرؤوا عنه ـ ولم يتتبعوا ـ أن يصفَ لنا شاعر الرباعيات لقال: كان شاعرًا عابثًا، خليعًا، فاجرًا، مضى وقته من حانة إلى أخرى؛ نديمه الكأس ليل نهار، ملحدٌ حيث أعلن حربًا شعواء على الأديان كلها، وهاجم الزُّهَّاد والمتعبِّدين، رسالته في الحياة: لا تفارق الخمرة حتى تموت.هذه هي الصورة الشوهاء المزيَّفة التي يتخيَّلها عدد كبير من الناس، ويرسمونها على أنها صورة الخيام الحقيقية. وقد انتقلت تلك السمعة السيئة إلى العصر الحديث، ولم يُصحَّح المسار؛ فبعض الفنادق، والمطاعم ودور اللهو والسهر أطلق عليها اسم الخيام، حتى إنَّ اسمه أطلِق على أسماء الراقصات..وما ذلك إلا لأنهم صدَّقوا ما لُفِّق عنه.

لكنّ الحقيقة غير ذلك تمامًا، فقد كان الخيام قبل كل شيء فيلسوفًا نزيهًا وأديبًا عفيفًا، يزيّنه الوقار، ويسمو به جلال العلم على أقرانه من أهل زمانه، فقد اطّلع على الآراء والمعتقدات المجوسية والبوذية التي كانت متداولة بين المفكرين آنذاك؛ إذ إن الفرس كانوا مترددين بين الوثنية القديمة والدين الإسلامي الجديد، ونستدل من رباعياته على أنَّه كان على دراية بالتاريخ الفارسي القديم، فهو يسير في أكثر من موضع في رباعياته إلى ملوك الفرس من أمثال كاوس، وقباذ، وبهرام جو، والأمير طوس، وفريدون، وكيخسرو (كسرى)، فهو يقول في إحدى رباعياته[1]:

الراح أطيب لي من ملك طوس ومن سرير كسرى وتخت الملك قابوس

وإنما أنة السكّير في سحر خير من الزهد والتقوى بتدليس

يقول البيهقي في كتابه "حكماء الإسلام" ما نصُّه[2]: "ولقد دخلت على الإمام؛ أي عمر الخيام في خدمة والدي، فسألني معنى هذا البيت في الحماسة[3]:

---

[1]- النجفي، أحمد الصافي: المرجع السابق، ص: 67.

يك جرعه ء مى ز ملك كاووس بهست و از تخته قباد وملكت طوس بهست

آه سحرى ز سينه ء خمارى از طاعت زاهدان سالوس بهست

[2]- الصراف، أحمد حامد: عمر الخيام الحكيم الفلكي النيسابوري، حياته، علمه، رباعياته، بغداد، 1949م، ص: 9.

[3]- أبو الحجّاج، يوسف بن سليمان بن عيسى الأعلم النحوي الشنتمري، شرح حماسة أبي تمام؛ تجلّي غرر المعاني عن مثل صور الغواني والتحلّي بالقلائد من جوهر الفوائد في شرح الحماسة، تحقيق وتعليق: علي المفضَّل حمّودان ط1، مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث، 1413هـ/1992م، جـ1، المجلد(1)، ص: 363.

ولا يرعـــــونَ أكنـــــافَ الهـــــوَينى إذا حلّـــــــوا ولا أرضَ الهُـــــــدون

فقلت لـه: الهوينى اسم تصـغير كالثريّا والحميّا، ومعنـاه أنهم من عزّهم وجرأتهم لا يرعون النواحي التي أباحتها المسالمة ووطأتها المهادنة، ولكن النواحي المتحامـاة. ثمّ سألني عن أنواع الخطوط القوسية، فقلت: أنواع الخطوط القوسية أربعة، منها: محيط الدائرة، ومنها قوس أعظم من نصف الدائرة، فقال لوالدي: شنشنة أعرفها من أخزم".

وكان إلى ذلك ذكي الفؤاد، متوقِّد القريحة، صاحب رأي، يجهر بالحقّ، ويحارب الشعوذة أينما وجِدَت.. كما عرف بالفطنة ورجاحة العقل والذكاء الحاد، والتفوّق على الأقران، والبراعة في الحديث والكتابة، والقناعة في العيش، والحدّة في المزاج[1]..؛ فلهذا جاهره بالخصومة فريق من دعاة الصوفية في زمانه، ودأبوا في نشر كل باطل عنه، وإلصاق كلّ تهمة كاذبة به حتى رموه بالكفر، والإلحاد أيضًا.

وذلك كلّه لأنَّه كان يكشف عن ريائهم ونفاقهم، ويعلن عن جهلهم وتعصُّبهم من دون خوف ولا حذر. قال عنه شمس الدين محمد بن محمود الشهرزوري في كتابه الموسوم بـ: "نزهة الأرواح وروضة الأرواح في تواريخ الحكماء المتقدمين والمتأخرين" الذي ألّفه في القرن السابع الهجري الآتي: "وكان الخيام عالمًا بالفقه واللغة والتواريخ ..... دخل الخيام ذات يوم على الوزير عبد الرّزّاق، وكان عنده إمام القرّاء أبو الحسن الغزالي[2]، وكانا يتكلّمان في اختلاف القرَّاء في آية، فقال الوزير: على الخبير سقطنا، ثمَّ سأل الخيامَ، فذكر اختلاف القرَّاء وعلَّل كلّ واحدة منها، وذكر الشواذ وعلّلها، وفضَّل وجهًا واحدًا، فقال الغزالي: كثَّر الله في العلماء مثلك، فإنني ما ظننت أن أحدًا يحفظ ذلك من القرَّاء؛ فضلًا عن واحد من الحكماء[3].

كان الخيام ينزل في المرتبة الأولى من أهل زمانه، يتسابق الوزراء إلى خطب ودِّه، وكان الملك سنجر يجلسه على العرش بجانبه توقيرًا له، وكان متعبِّدًا زاهدًا منصرفًا إلى العلوم والتدريس؛ نافضًا الأمور الدنيوية التي تتكالب عليها الأطماع، وتصطرع دونها

[1]- جمعة، حسين: المرجع السابق، ص: 115

[2]- الغزالي: هو محمد بن محمد بن محمد الغزالي الطوسي، أبو حامد، حجّة الإسلام : فيلسوف متصوّف له مئتا مصنف، مولده ووفاته في طابران بخراسان، رحل إلى نيسابور ثم إلى بغداد، فالحجاز، فالشام، ثم عاد إلى بلدته. (1050–1111م/ 450–505هـ؛ انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام؛ قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، جـ7، ط10، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، أيلول/سبتمبر، 1992م.

[3]- القزويني، محمد عبد الوهاب: حواشي جهار مقاله لنظامي عروضي سمرقندي، ترجمة: عبد الوهاب عزام، ويحيى الخشّاب، 1949م، ص: 155–156.

الأحقاد، وكان يلقَّب بحجَّة الحقِّ عمر[1]. فقد "كان عديم القرين في علم النجوم والحكمة"[2]، ويقول رضا زاده شفق[3]: " وله محاجات مع علماء عصره وسلاطنيه، أمثال: الغزالي وملكشاه ونظام الملك، وكانت له (الخيام) مكانة خاصة في المجالس السلطانية والأدبية". وقال عنه الزركلي[4]: " كان السلطان السلجوقي ينزله منزلة الندماء، والخاقان شمس الملوك ببخارى يعظمه ويجلسه على سريره".

وكفى الخيام دليلًا على علوِّ منزلته وسموِّ مقامه، وجلالة قدره هذه الأبيات التي وجَّهها إليه في مستهلِّ إحدى رسائله الإمام أبو النصر محمد بن عبد الرحيم النسوي قاضي الديار الفارسية آنذاك، وتلميذ الشيخ الرئيس أبي علي ابن سينا، قال الإمام أبو نصر[5]:

إن كنت ترعين يا ريح الصبا ذممي فاقري السلام على العلامة الخيمي

بوسي لديه تراب الأرض خاضعة خضوع من يجتدي جدوى من الحكم

فهو الحكيم الذي تسقي سحائبه ماء الحياة رفات الأعظم الرمم

هذا هو الخيام الحقيقي العالم الفيلسوف، وليس ذاك المستهتر السكير غير المبالي...

وقد ذكر الزمخشري وهو من علماء القرن السادس أنه كان موضع احترام العلماء في عصره، ومنهم هو نفسه[6]. ويتّضح من استعراض ذكر عمر الخيام عند معاصريه والتالين لهم أنَّه لم يعرف حينئذٍ شاعرًا؛ وإنَّما عُرِفَ عالمًا في الرياضيات والفلك والطب والفقه والتواريخ، غير أن واحدًا أو اثنين من أصحاب التواريخ المتأخرة قد أورد له بعض الرباعيات، مثل: العماد الأصفهاني (597 هـ) الذي يعدُّ أول من لفت الانتباه إلى الخيّام الشاعر؛ إذ أورد له بعض الأبيات بالعربية التي مطلعها[7]:

إذا رضيت نفسي بميسور بلغة يحصّلها بالكدِّ كفّي وساعدي

---

[1] سمرقندى، نظامى عروضى: جهار مقاله، في المقالة الثالثة (من أقدم الوثائق التاريخية).

[2] القفطي، أبو الحسن علي بن يوسف: إخبار العلماء بأخبار الحكماء، تصحيح: محمد أمين خانجي، دار السعادة، مصر، 1326هـ، ص: 162.

[3] زاده شفق، رضا: تاريخ الأدب الفارسي، ترجمة: محمد موسى هنداوي، دار الفكر العربي، 1947، ص: 87.

[4] الزركلي، خير الدين: الأعلام، ط8، جـ5، ص: 394.

[5] جامع البدائع (ابن سينا وعمر الخيام)، مجموعة رسائل، تبلغ سبع عشرة رسالة، طبعت بمطبعة السعادة، مصر 1917م، بعناية محيي الدين صبري الكردي، ص: 166.

[6] barichchrk asra : The Rubai Yat Of Umar Khayyam New York , 1975, P.xti.

[7] الأصفهاني، العماد: خريدة القصر (مخطوط الورقة 37).

وفردوس التواريخ الذي ألَّفه خسرو أبرقوهى عام 808هـ، ويتضمَّن رباعيتين إلى جانب رواية عن أبي الحسن البيهقي عن مناظرة بينه وبين الخيام في تفسير بيت شعر عربي[1].

لم يقتصر تناول الخيام شاعرًا على ترجمة رباعياته؛ بل امتدَّ إلى دراسة فلسفته من خلالها، ومحاولة التعرّف إلى كنه شخصيته؛ لضمِّه إلى الفرق الفلسفية والدينية وغيرها.

لم يثبت إطلاقًا، وعلى أي وجه أنَّ الخيام قد ذاق الخمر طوال حياته ولو مرّة واحدة. وإذا كان الألماني د. فريدرخ قد قال إنَّ الخيام يدعو الناس إلى تناول الخمر وملازمة السرور في هذا العمر الذي يفنى، ولا يؤول الخمر بخمر أهل التصوف، اللهم إلا قليلًا، فإن كثيرين غيره يرون أنَّها "مؤولة محمولة على غير ظواهرها"[2].

والحقيقة أنَّه كان يكتب رباعياته من حين إلى آخر في مجالس سمره وحديثه، وبين خاصته، وكانت هذه الرّباعيّات تنتقل من يد إلى يد كباقة من الزهر تفوح بالعطر وتعبق بالشذا، فيدوِّنها هذا وذاك من أصدقائه وتلامذته كتذكار أو كهدية نادرة من العالم الأكبر في حواشي كتبهم. فهو حين يصف الخمرة وأدواتها فإنَّما يجري فلسفته في إطار إيقاظ المدمن من غفلته؛ لأنَّه سيموت ميتة أبدية ولا رجوع له إلى هذه الدنيا الفانية[3].

كان وصف الخمرة والإغراق في التغني بميزاتها (عادة) ذلك العصر بالنسبة إلى الأدباء الفرس، كما كان الوقوف على الأطلال والتغني بليلى وديار ليلى التقليد العصري السائد في العهد الأموي، وقبله الجاهلي عند الشعراء العرب.

التصوف في الرباعيات:

قدّمه فيتزجرالد شاعرًا ماديًا أبيقوريًا[4]، في حين قدّمه السيد نيقولاس الفرنسي الذي كان يمثل بلاده في رشت شاعرًا صوفيًا[5]؛ وإشارته إلى الخمر التي يتحدث عنها هي الخمرة الإلهية، والسكر الذي يصفه هو السكر الصوفي. لاقت هذه الفكرة هوى في نفوس بعض الباحثين، فاعتنقها كثير من المعجبين بالشاعر من غير تعمُّق.

---

[1]- براون، تاريخ الأدب في إيران، ترجمة: إبراهيم أمين الشواربي، جـ2، ص: 309؛ سمرقندى، نظامى عروضى: جهار مقاله، حواشى القزويني، ص: 217؛ الصراف، أحمد حامد: عمر الخيام عصره، سيرته، أدبه فلسفته، رباعيته، طبع بنفقة نعمان الأعظمي صاحب المكتبة العربية، بغداد، 1350هـ/1933م، ص: 17-18 وأثبت رباعية واحدة.

[2]- جمعة، حسين: المرجع السابق، ص: 139؛ نقلًا عن: كشف اللثام عن رباعيات الخيام، ص: 133.

[3]- جمعة، حسين: المرجع نفسه، ص: 139-140.

[4]- أبيقوري: نسبة إلى أبيقور صاحب المذهب المعروف باللذة.

[5]- Edwrd Fitzgorad: Rubayat Of Omar Khayyam – Creat Britain 1975, P: 16-17.

انظر أيضًا:

Rubaiyat Of Omar Khayyam by Mohsen Ramasani Tahran. P: 28

بل إنَّ شهرة الخيام وفلسفته قد وصلت إلى حدِّ تأليف مسرحيات وعرضها اقتباسًا من فلسفته كما فهمها الغربيون؛ مثل مسرحية Lesong De Kheyam الفرنسية التي عُرِضت في باريس عام 1892، وألّفها موريس بوشور، ويلاحظ أنَّ هذا الكاتب قد صوّر الخيام شاعرًا ذا ذوق سليم، وفكر عميق، وروح مفعمة بالعشق الإلهي[1].

لقد عُرِف الصوفية منذ القرن الثالث أنَّهم فرقتان: أصل الصحو، وأهل السكر، وأهل السكر، والصحو هذا غالب في رباعيات الخيام، ولكن أي سكر وأي صحو؟ إنَّه السكر بعينه يجيء من شرب الخمر بنت العنب، وليس السكر في ذكر الله.

والحقيقة كما يبدو أنَّ الخيام وقف على أحوال الصوفية، وأقوالهم؛ فسخر منهم ومن تصوفهم ومن أعمالهم، وسخر من قضاء العمر على طريقتهم.

لهذا لا يمكن القول: إنَّ الخيام من شعراء التصوف؛ لأنَّه فيلسوف حائر يدعو إلى اغتنام اللذات، وفكرة التصوف لديه كانت "وليدة الرغبة التي تستحق البحث والنظر"[2]. من الواضح أنَّ الخيام لم يكن بالشاعر المتمسك بأهداب الدين؛ وإنَّما كان ممَّا أوتوا الجرأة والمقدرة أن يقول ما يدور في خاطره.

اتّخذ الخيام ألفاظ الصوفية، ووظفها في رباعياته، كما فعل أهل التصوف كثيرًا في أقوالهم، فكأس الخمر، والحطام، والسبات، والغم، ودنيا العدم، وأنا، وأنت، وهو، والحال، والتذكر كلها جاءت في كلام الصوفية، وشاعت في رباعيات الخيام.

ولا شك في أنَّ استعمالها عنده يخالف استعمالها عندهم. فإذا كان الحال عند الصوفية له معنى الاتحاد في الله أو الغيبوبة في تجردهم نجد الخيام يأخذ هذا اللفظ على أنَّه الحال الذي هو فيه، وإن كان الصوفية يذكرون الله في قولهم أنت، أو قولهم هو، أو أنَّهم يطلقون عليه "الحبيب"، فإن الخيام يخاطب المعشوق الحقيقي في هذه. وكثيرًا ما تكون ألفاظ الأمر وصيغ الطلب والدعاء من الأمور التي يطلقها أهل التصوف، ويبتغون فيها العبادة، ولكن الخيام يطلقها لمعنى مادي قريب بالأسلوب الصوفي نفسه، وقد يجعل الخيام في قوله شيئًا من النكتة أو الفكاهة؛ ليدل بها على معناه؛ وليخرج هذا المعنى من حيِّز الجد إلى حيِّز الهزل. والحق أن هذا الخطأ له ما يسوغه؛ إذ إن الصوفية الفرس كثيرًا ما يلجؤون إلى استعمال الزندقة في صورهم الشعرية، حتى أصبحت منذ ذلك الوقت صورًا تقليدية. ولا شك في أن ذلك هو السبب الذي دفع بعض الباحثين إلى تفسير بعض الرباعيات تفسيرًا

[1] – حديدي، جواد: برخورد انديشه ها، تهران، انتشارات توس، شماره 147، ص: 195/159.
[2] – عزام، عبد الوهاب: صحيفة الجامعة المصرية، السنة الثالثة، 1933، العدد(2)، ص: 18.

صوفيًا، ولها ما يؤيدها في رباعيات الخيام على أنَّها توحي بأفكار صوفية، ولكن ذلك كلّه لا يجعلنا نقول: إنه صوفي، يقول في إحدى رباعياته ما معناه:

لو أنهم يزينون الدنيا في عينك لا تؤمن بها، فإن العقلاء لا يصدقون بهذا الزخرف الواهي.

كثير من الناس مثلك قد مضوا وكثيرٌ سيأتون، فخذ نصيبك من هذه الدنيا؛ لأنَّهم سوف يأخذونك.

وكأنَّه يشير إلى كلام الله تعالى[1]: "وأمَّا بنعمة ربك فحدّث" أو إلى الحديث[2] "احرز لدنياك كأنك تعيش أبدًا، واعمل لآخرتك كأنك تموت غدًا. وفي رواية أخرى : "أُحرث لدنياك ..... ويقول د. حسين جمعة الخمرة في رباعياته ليست إلا رمزًا للعزة الإلهية والمعرفة، أمَّا الكأس والسكر فرمز للحلول وما ماثله، كما رأينا من بعدُ جلال الدين الرومي وحافظ الشيرازي، وما ذكر ذلك إلا تأكيدًا لوجوده الإيماني في الحياة، يقول:

إن روحًا من عالم الطهر جاءت لك ضيفًا ما التاث بالغبراء

اسقها أكؤس الصبوح صباحًا قبل توديعها أوان المساء

وقد توجه عمر الخيام في أواخر حياته إلى الزهد والتصوف، على حدٍّ قول الدكتور حسين جمعة : وممن فسّر بعض الرباعيات تفسيرًا صوفيًا السيد جورج ترافليان في كتابه الذي أصدرته الجمعية الإيرانية بلندن في سنة 1966م (An interpretion of the Rubaiyat of Omar KHayyam)[3]، وممن أوَّل الرباعيات تأويلًا صوفيًا الباحث الإيراني علي دشتي في كتابه دمى با خيام (لحظة مع الخيام). إنَّنا ندرك أن الترجمات لم تتفق على ماهية واحدة في مادة الرباعيات[4]. ويقول في رباعية أخرى ما معناه[5]:

---

[1]- سورة الضحى، الآية: 11.

[2]- هذا الأثر أو الحديث بلفظ احرِز لدنياك .... من قول عبد الله بن عمرو بن العاص؛ انظر: إصلاح المال، ابن أبي الدنيا، تحقيق: محمد عبد القادر عطا مؤسسة الكتب الثقافية، ط1، بيروت، 1993، ص: 34.

[3]- جمال الدين، محمد السعيد: الأدب المقارن دراسة تطبيقية في الأدبين العربي والفارسي، ط1، دار ثابت للنشر والتوزيع، القاهرة، 1989م، ص: 149

[4]- جمعة، حسين: المرجع السابق، ص: 141.

[5]- الصراف، أحمد حامد: المرجع السابق، ص: 210.

خورشيد كمند صبح بربام افكند كيخسرو روز باده در جام افكند

مى خور كه منادى ء سحر كه خيزان آوازه ء (اشربوا) در ايام افكند

أرسلت الشمس أشعتها الذهبية على السطح، وقد صب ملك النهار صهباءه في الجام، اشرب المدام، فقد نادى مؤذن السحر: أن "اشربوا" في أجواء الأيام.

لقد افتتح الشاعر الإنكليزي فيتزجرالد ترجمته للرباعيات بهذه الرباعيات الهادئة، ولا شك في أنّنا نستطيع أن نتكلف تفسيرها صوفيًا، ونقول إنها دعوة للعبادة، فإن المؤذن يدعو إلى ذكر الحبيب، والشرب هنا عبادة كالتي دعا إليها ابن الفارض حين قال[1]:

شـربنا علـى ذكـر الحبيـب مُدامـةً سكرنا بها من قبل أن تُخلَقَ الكرمُ

ولكن أين قول ابن الفارض هذا من قول الخيام، ومع ذلك فإنَّ الخيام لو اقتصر على هذه الرباعية أو أمثالها لما تردد أحد في عدِّه من زمرة المتصوفة كابن الفارض وبالمتصوفة الفرس من معاصريه، أمثال: ابن سعيد بن أبي الخير، وأبي عبد الله الأنصاري، وبابا طاهر.

عقيدة التناسخ في الرباعيات

اتّهمه بعض الدارسين في عقيدته بأنَّه يعشق فلسفة اللاأدرية والانقلابية والتشاؤم[2]، كذلك نسب إليه إنكار البعث، والاعتقاد بالجبر، والتناسخ، وكراهية الحياة، وحبّ الملذّات فقط[3]. وأُتُّهِمَ بالباطنية، والإباحية والزندقة[4]. وقد صرّح الخيام باتهام الناس إليه في رباعياته، كما أنَّ القفطي (646هـ) يذكر عنه قوله[5]: "ولما قدح أهل زمانه في دينه، وأظهروا ما أسرّه من مكنونه خشي على دمه، وأمسك من عنان لسانه وقلمه".

وقد اتهمه بعض كتاب العصر الحديث أنَّه كان يعتنق فكرة التناسخ، والباعث على هذا الاعتقاد قصة مختلقة لا أساس لها من الواقع وردت مرتبطة بإحدى رباعيات الخيام، ملخّصها: أنَّ الخيام ذكرها حينما وجد حمارًا أضرب عن السير كان يحمل الحجارة لبناء مدرسة في نيسابور، فسار الحمار، ولما سئل عمّا قاله للحمار، قال: إنَّ هذا الحمار تتقمصه روح مدرِّس عمل في هذه المدرسة، وأرى أنَّه من التحصيل الحاصل أن نكذِّب مثل هذه الروايات، وهذه القصص، وقد كذّب الرواية الأستاذان حسين دانش ورضا توفيق[6].

---

[1] البوريني، حسن؛ النابلسي، عبد الغني: شرح ديوان ابن الفارض، (دواوين شعرائنا)، جـ2، دار التراث، بيروت، د.ت، ص: 174.

[2] الخيام، عمر: رباعيات عمر الخيام، تعريب وترجمة: أحمد الصافي النجفي، تهران، ص: 24/22.

[3] الصراف، أحمد حامد: عمر الخيام الحكيم الفلكي النيسابوري، حياته، علمه، رباعياته، بغداد، 1949م، ص: 126/105.

[4] الحنفي، عبد المنعم: عمر الخيام والرباعيات، القاهرة، 1994، ص: 115/25.

[5] القفطي: إخبار الحكماء

[6] شلال، أحمد شاكر: الخيام عصره، رباعياته، رسالة دكتوراه، كلية الآداب، جامعة القاهرة، 1955م، الرسالة مخطوطة في معهد اللغات الشرقية في القاهرة، ص: 192

يقول الخيام ما معناه[1]:

يا أيها الذي ذهب وعاد مرة أخرى، وصار كالأنعام، قد ضاع اسمك بين الأسماء. وقد اجتمعت أظافرك، وصارت ظلفًا، وظهرت لحيتك في عجزك، وصارت ذيلًا.

ويقول في رباعية أخرى ما معناه[2]:

كـــل ذرات هـــذه الأرض كانـــت أوجهًـــا كالشـــموس ذات بهـــاء

أُجـلُ عـن وجهـك الغبـار برفـقٍ فهـــو خـــدٌّ لكاعـــب حســـناء

وفكرة التناسخ هذه لم تكن ممَّا يعتنقه الخيام؛ وإنَّما أوحت إليه ببعض الصور الشعرية الجميلة، وقد تناول الخيام بعض الصور بخياله الشعري الممتاز، فظهرت بصورة توحي بهذه الفكرة، وليس الخيام وحده؛ بل أكثر شعراء الشرق والغرب شبهوا لون الورد الأحمر بالدم الذي كان يجري في عروق الملوك مثلًا فإن ما يسمونه بتداعي المعاني أو تذكير صورة بأخرى من الأمور التي نصادفها في حياتنا اليومية، فإذا تناول خيال شاعر ممتاز أسبغ عليها من قوة شعوره وفنه شيئًا آخر، أو أضاف إليها شيئًا يدركه بحسه المرهف الدقيق يعجز عنه غيره.

يمكن القول: إنَّ التناسخ كان في كل أمة تلقوها من المجوس المزدكية والهند والبرهمية، ومن الفلاسفة والصائبة ومذهبهم أنَّ الله تعالى قائم بكل مكان ناطق بكل لسان ظاهر بكل شخص من أشخاص البشر، وذلك معنى الحلول[3].

ومن المؤكد أنَّ ما نُسِبَ إليه كلّه من أفكار فلسفية؛ إنَّما استخلص من الرباعيات المنسوبة إليه، وطالما ظلت تلك الرباعيات من دون سند علمي واضح يؤيِّد صحَّة نسبتها إليه؛ فإن تلك الاتهامات كلّها تسقط من دون حاجة إلى دليل، ويقتضي المنهج العلمي أن يلجأ الباحث إلى أعمال القائل نفسه؛ أي إلى مؤلفاته التي لا يتطرق الشك

---

[1]- براون، إدوارد: تاريخ الأدب في إيران "من السعدي إلى الفردوسي"، نقله إلى العربية: إبراهيم أمين الشواربي، ط1، مكتبة الثقافة الدينية، 1424هـ/2004م، ص: 316؛ انظر: النجفي، أحمد الصافي: المرجع السابق، ص: 138.

ای رفتـــه وبـــاز آمـــده بـــل هـــم كشـــته نامـــت ز میـــان نامهـــا کـــم کشـــته

نامـــه همـــه جمـــع آمـــده وســـم كشـــته ریـــش از بـــس کـــون آمـــده دم کشـــته

[2]- دانشفر، حسن: درباره ی رباعیات الخیام با مقدمه ی استاد مجتبی مینوی، طهران، 1352، ص: 167؛ النجفي، أحمد الصافي: المرجع السابق، ص: 1.

هـــر ذره در روی زمینـــی بـــوده اســـت خورشـــید رخـــی زهـــره جبینـــی بـــوده اســـت

کـــرد از رخ نـــازنین بـــارام فشـــان کـــه ایـــن هـــم رخ وزلـــف نـــازینی بـــوده اســـت

[3]- الشهرستاني: الملل والنحل، ص: 12.

إلى صحة نسبتها إليه ثمَّ إلى أشعاره التي صحَّت نسبتها إليه، وذلك لتحديد أفكاره ورسم ملامح شخصيته، وعلى أساس منها يمكن ترجيح الرباعيات الأصيلة، أو الأقرب إلى الصحة من بين كل ما نُسِبَ إليه.

الفكر الإسلامي في الرباعيات:

تصيَّد المغرضون جانبًا من الرباعيات التي يؤكد فيها أنَّ الدنيا لا تدوم لأحد؛ لكي يدلِّلوا بها على أنَّ الخيام دهري، أو يريد بها الدعوة إلى الاستمتاع بملذّات الحياة، أو أنَّه لا يؤمن بالبعث؛ إلَّا أنَّ تلك الفكرة ذات أصل إسلامي، وهناك آيات كثيرة تدعمها، وتؤكِّد للناس أنَّ الدنيا دار فناء وأنَّ الآخرة خير وأبقى، فمثلًا يقول الخيام في إحدى رباعياته[1]:

إذا ازدانتِ الدنيا لك، فلا تثق فيما لم يثق به عاقل

فكثيرون مثلك قد أتوا وسيأتون، فاحصل على نصيبك منها قبل أن تمضي

وهذا يذكرنا بقول الله تعالى[2]: "وتلك الأيام نداولها بين الناس". وبقوله تعالى[3]: "هو الذي جعلكم خلائف في الأرض".

إن الخلائق يتتابعون مجيئًا وذهابًا وأن أحدًا لا يخلَّد فيها، يقول الخيام[4]:

أولئك الذين هرموا وهؤلاء الشباب، يتتابعون واحدًا في إثر واحد

وتلك الدنيا العتيقة لم تخلد لأحد، فقد مضوا وسيمضي من يأتون بعدنا

وهذا محقق بقول الله تعالى[5]: "كل نفس ذائقة الموت".

ويقول في إحدى رباعياته[6]:

---

[1] دانشفر، حسن: درباره ی رباعیات خیام با مقدمه استاد مجتبی مینوی، طهران، ص: 164.

عالم اکبر از بهر تو می آیند — مکر ای بدان کی عاقلان نکرایند

بسیار جو تو شدند وبسیار آیند — بربای نصیب خویشی کت بربایند

[2] سورة آل عمران، الآية: 140.

[3] سورة النور، الآية: 44.

[4] دانشفر، حسن: المرجع نفسه، ص: 175.

آنانکه کهن بودند وآنانکه نوند — هر یک بی یکدیکر یکایک بشوند

وین کهنه جهان بکس نماند جاوید — رفتند ورویم وباز آیند ورونند

[5] سورة آل عمران، الآية: 158.

[6] دانشفر، حسن: المرجع نفسه، ص: 175

از جملة ی رفتکان این راه دراز — باز آمده ای کو که خبر کوید باز

زنهار این دو راهه آن ونیاز — تا هیچ نمانی که آئی باز

من بين من سلكوا ذلك الدرب البعيد، لم يعد أحد لينبئ بالخبر
فاحذر مفترق الطرق بين الطمع والحاجة، فإن شيئًا لا يبقى كما أنك لن تعود.

وإذا قرأنا في تلك المجموعة التي يميل الباحثون إلى الثقة في صحة نسبتها أفكارًا لا تتفق مع ما ورد من اتجاهات إسلامية لاحظناها فيما سبق، فقد يرجع هذا إلى التقلّب الذي يمكن أن يطرأ على فكر الإنسان في مرحلة من حياته، فيحارُ بين الشك واليقين حتى يثبت عقله ووجدانه بالإيمان بالخالق العظيم وحكمته في خلق الكون، كما أنَّ هذا قد يعود إلى حالات من الضيق والإحباط التي تنتاب العالم الذي يخفق في الوصول إلى حلٍّ معضلة علمية، فيفرغ هذا الإحساس في صورة ما قد تكون منها تلك الرباعيات القليلة التي نؤكد في النهاية صحة نسبتها إليه قياسًا إلى التأكد من صحة نسبة ما سبق عرضه من رباعياته، وإثبات أفكاره واتجاهاته الصحيحة من خلالها، ونأمل بذلك أن نكون قد أسهمنا في تقديم صورة صحيحة عن الخيام وفكره.

وكذلك قالوا باعتقاده باعتقاده بالجبر واتباعه الأشعرية، وينسب إليه الخونساري في "صوان الحكمة" قوله[1]:

إن احتسائي الشراب معفى عنه عند الله، فلو لم أشرب الخمر لكان علم الله جهلا.

وذهبت آراء إلى القول بصفاء روحه وانكشاف بصيرته؛ من ذلك ما أورده النظامي العروضي السمرقندي من أنَّه تنبأ بموضع قبره وصفاته وتساقط الأزهار فوقه، وصدق هذه النبوءة[2]. كذلك ما روي من حادثة وفاته، وأنَّه كان يتأمل الإلهيات من الشفاء لابن سينا، فلما وصل إلى فصل الواحد والكثير، وضع الخلال الذهبية الورقتين ثم قام وصلى، ولم يأكل ولم يشرب، فلما صلى العشاء الأخير سجد، وكان يقول في سجوده: اللهم إنك تعلم إني عرفتك على مبلغ إمكاني، فاغفر لي، فإن معرفتي إياك وسيلتي إليك[3].

ويرجح أنَّ الخيام لم ينظم هذه الرباعيات عن رغبة في الشعر؛ بل كان ينفث من خلالها ضوائق صدره إذا ما أطال البحث والتأمل العقلي في الكون والوجود، وعجز عن الوصول إلى حل[4].

---

[1]- الصراف: المرجع السابق، ص: 44.

مـــى خـــوردن مـــن نـــزد ســـهل بـــود كـــرمى نخـــورم علـــم خـــدا جهـــل بـــود

[2]- نظامى عروضى سمرقندى (احمد بن على) جهار مقاله، زبان وفرهنك إيران، ص: 30، تصحيح: على حصورى، تهران، 1345هـ.ش، جاب دوم، ص: 88-89.

[3]- الصراف: المرجع السابق، ص: 33.

[4]- زاده، صادق رضا: تاريخ أدبيات إيران، جـ2، تهران، 1352هـ.ش، ص: 283؛ وانظر أيضًا: صفا، ذبيح الله: تاريخ أدبيات در إيران، جـ2، تهران، 1352هـ.ش، ص: 529.

ويبدو أنَّ الخيام لم يعتنِ بخير الناس وشرِّهم؛ بل كان مشغولًا بأزماته الخاصة وضوائقه النفسية والعقلية، وشطحات أفكاره الفلسفية، ومشكلاته العلمية؛ لذلك لم يهتم كثيرًا بعلاج الأوضاع الاجتماعية أو الاهتمام بها. ويبرز أثر علمه بالفلك جليًا من خلال رباعيته التي يقول فيها ما معناه[1]:

أسر الفلك في أذن قلبي، بأنك تعد ما كان من حكم القضاء صادرًا عني!

لو كان لي سلطان على حركتي ودوراني، لكنت قد خلصت نفسي من هذه الحيرة، وذلك الدوران.

فالخيام الذي برع في علم الفلك، وأتقنه وأطال النظر إلى النجوم والكواكب والمجرات، وهي تدور في أفلاكها على الدوام لا تستر في منزل إلا لتنتقل إلى منزل آخر، ولا تدوم على حال كما لا تتوقف عن الحركة، فهي هائمة على غير هدى، وبلا معنى بعد أن أطال النظر إليها ورصدها وخبر حركتها وسيرها.

يعود إلى نفسه من هذا في لحظة تأمّل وقياس لما يعتقده الناس من أنَّ الفلك هو الذي يتسبب في تغيير الأحوال من حال إلى حال، وهو بتقلب الليل والنهار، وتعاقب الفصول والأيام، هو مصدر ما ينال الناس من خير أو شر، وما يستشعرون من سعادة أو شقاء.

فيشبه الخيام الفلك كالإنسان الحائر، أو مثل عقل العالم دائب النظر في الظواهر والأسباب والعلل والغايات، فهو محكوم مسير، لا سلطان له على نفسه، فالخيام يرى أنَّ العاجز عن أمر نفسه لا يملك أمر غيره، وإلا لكان قد استبدل بوضعه وضعًا أفضل، وغيَّر من أحواله قبل أن يغير من أحوال الكون والكائنات؛ لذلك فهو محكوم بالقضاء شأنه شأن الكائنات.

وتدل ألفاظ رباعياته على أنَّه طبّق القياسات العلمية والأدلة المنهجية المنطقية كلها على أفكاره التي ساقها من خلال النظر في الحياة والكون وأسرار تلك الحياة، وهذا الكون وما يحكم هذه الحركة. ففي رباعياته التي يقول فيها ما معناه[2]:

---

[1]- النجفي، أحمد الصافي: المرجع السابق، ص: 111؛ الخيام، عمر: رباعيات خيام، تصحيح: محمد على فروغى، جاب تهران، 1332هـ.ش، ص: 45.

در كوش دلم كفت فلك بنهاني حكمى كه قضا بود زمن ميدانى

در كردش خويش اكر مرا دست بدى دست بدى خود را برهاندمى ز سر كردانى

[2]- الخيام، عمر: رباعيات خيام، تصحيح: محمد على فروغى، جاب تهران، 1332هـ.ش، ص: 56.

كر كار فلك بعدل سنجيده بدى احوال فلك جمله بسنديده بدى

ور عدل بدى بكارها در كردون كى خاطر اهل فضل رنجيده بدى

لو كان أمر الفلك قد وزنه بالعدل، لكانت جميع أحوال الفلك مستحسنة مقبولة.
فلو كان في الفلك للأمور والأحوال عدل، فكيف كان لخاطر أهل الفضل أن يتأذّى.

نجد الألفاظ تنم على فكره الفلسفي الذي يوقن بالعدل، وهو انتهاء المقدمات إن كانت صحيحة والمنهج السوي إلى نتائج صحيحة في القضايا المطروحة، فإن خالفت النتائج ما يجب أن تكون عليه كانت المقدمات فاقدة سلامتها، أو المعالجة والمنهج فاقدًا لصحته وغير سوي، فهو يرى أن "أمر الفلك" وقواعد دورانه لو وضع وفق مقياس العدل يعني لو اتبعت حركته نظامًا سويًا ومنهجًا سليمًا لكانت جميع تقلبات هذا الفلك وأحواله وأوضاعه المتجددة المتغيرة دومًا حسنة؛ أي لو أنَّ المقدمة صحيحة لكانت النتائج صحيحة.

يُسْألُ الخيام عن الموت وما وراءه من دون إجابة يتلقاها ترضي عقله، وتطمئنه بعد أن راقب فوجد أن الفناء يحل بكل شيء، يقول في إحدى رباعياته ما معناه[1]:

ذاك القصر الذي تناول فيه جمشيد كأسه، ولدت فيه الظباء، واتخذه الثعلب مأوى
وبهرام الذي كان يصيد حمر الوحش طول العمر، رأيت أن القبر قد اصطاد بهرام في النهاية.

يقيس الخيام أبعد مظاهر القوى والجاه والعظمة؛ متمثلة في قصر جمشيد الملك العظيم، وكأسه التي قيل إنَّه كان ينظر فيها فيرى جميع أرجاء ملكه وما يدور فيه من أحداث، يقيس هذا الرمز بدلالته الكبيرة مع ما صار إليه حاله بعد ذلك بفعل الخراب والفناء حين تحوّل إلى مأوى للثعالب والظباء تضع فيه صغارها. وإن كان القصر قد تحوّل من صورة من صور الحياة إلى صورة للحياة أخرى؛ ممَّا قد ينفي فكرة الخراب والفناء، إلَّا أنَّ الفرق شاسع، فالأولى رمز يحمل دلالة الحياة الأسمى؛ الحياة الحقة، وفيها شبه بحياة العقل، وفي دائرته في حين تحمل الصورة الثانية معنى الحياة العامة الوضيعة، وتدل عليها وهي ما تخلو من العقل وسلطانه، وحقيقة ممارساته العلمية وإثبات وجوده. ألا يحمل لفظ جام وهو كأس جمشيد دلالة على العقل لسلطانه؟ وجمشيد نفسه ألا يدل على الفضلاء من أصحاب العقول، أو العقل ذاته في جوهره وسلطانه؟ بينما نجد مفردات المصراع الثاني تتمثل في حيوانات مستضعفة ذليلة أو وضيعة فيها

[1]- الخيام، عمر: رباعيات خيام، متن درست وكامل رباعيات اصيل خيام با مقابله نسخه "تصحيح: مرحوم محمد على فروغى" تصادير از: محمد تجويدى. خط از: جواد شريفى. با تصادير رنكين از انتشارات مؤسسه امير كبير، تهران، 1333، جاب افست محمد على علمى، ص: 3.

آن قصـــر كـــه جـــمشيد درا وجـــام كـــرفت آهـــو بجـــــه كـــــرد وروبـــــه آرام كـــــرفت
بهـــرام كـــه كـــور ميكـــفتى همـــــه عمـــــر ديـــدى كـــه جكـــونه كـــور بهـــرام كـــرفت

نفاق ومكر وخداع، وهي لا تمارس إلا أفعالًا غريزية كالولادة التي تخرج عن دائرة الإرادة العقلية أو السكون والتوقف عن الحركة والفعل في (آرام كرفت)؛ بمعنى استكان وهدأ. ألا تحمل كلمة (آرام) دلالة على الجمود والموت والفناء.

وفي البيت الثاني بهرام رمز القوة والسلطان والفعل من خلال صيده لحمر الوحش دومًا. كالعقل ينتهي به الأمر في النهاية أن يطويه القبر؛ رمز السكون والفناء والموت؛ بل ربما كانت حمر الوحش تحمل دلالة الأمور العلمية والمشكلات النافرة التي يصعب اصطيادها لوحشيتها وفرارها، إلَّا أنَّ العقل بقدرته وسلطانه ومنهاجه العلمي السليم كان يصطادها دومًا إلى أن وقع صيدًا للفناء والموت والسكون المتمثلة في القبر. ويقول في إحدى رباعياته[1].

إن أسرار الأزل لا أنا أعرفها ولا أنت، وهذا الكلام المبهم لا أنا أقرؤه ولا أنت
وحديثي وحديثك من وراء حجاب، وحين يسقط الحجاب لا أنا أبقى ولا أنت؟

يعبّر الخيام عن عجزه وعجز الآخرين عن إدراك أسرار الوجود، وهذه حقيقة يعرفها العقلاء جميعًا، ولكن تعبير الخيام عنها على هذا النحو يدل على أنَّه حاول ولم يفلح.. حاول أن يحلل ألغاز الكون فما استطاع، فآلمه هذا الفشل بكشف الأسرار. والرباعية تسري فيها روح اليأس والألم، ويبدو فيها الخيام متثاقل الخطى مقرًّا بعجزه مهمومًا بفشله.

ولكن ماذا يقصد الخيام بذلك الحجاب الذي يحجب الأسرار؟

لا بدَّ أنَّه يشير إلى قوانين هذا العالم المادي الفاني؛ تلك القوانين التي لا تسمح لأحد باجتيازها أو النفاد من خلالها، فإذا سقط الحجاب، وزال العالم وزال معه الباحثون عن الحقيقة. ولكن الخيام في هذه الرباعية وهو يعبّر عن يأسه من معرفة الحقائق والاطلاع على وراء الحجاب، غاب عنه أن سقوط حجاب المادة لا يعني فناء الإنسان كله؛ وإنما يعني فناء الجسد من أسرها، فتنطلق إلى العالم العلوي وتدرك ما لم تكن تعلم. و لو تنبّه الخيام إلى هذه الحقيقة لعدل عن هذا الختام اليائس للرباعية إلى ختام آخر يبعث الأمل وينعش الرجاء أو على الأقل يخفف من نغمة اليأس والحزن السارية في كلمات الرباعية. ويقول في إحدى رباعياته[2]:

---

[1]- الخيام، عمر: رباعيات الخيام، ترجمة مصطفى وهبي التل (عرار) حققها واستخرج أصولها: يوسف حسين بكار، ط1، دار الجيل، بيروت، ومكتبة الرائد، عمان، 1990م، ص: 65.

اسرار ازل ر انه تو داني ونه من ويـن حـرف معمـى نـه تـو خـوانى ونـه مـن
هسـت از بـس بـرده كفتكـو مـن وتـو جـون بـرده برافتـد نـه تـو مـانى ونـه مـن!

[2]- انظر الحاشية، ص: 10

كل ذرة على سطح الأرض؛ إنما كانت طلعة كالشمس وجبينًا كالزهرة
فانفض الغبار برفق عن محياك الرقيق، فهو أيضًا كان خدًا وجدائل لذات الدلال!

نجد تأمله في الماضي ذرات الثرى يقوده إلى الشعور بالتعاطف مع هذه الذرات ووجوب الترفق بها وإكبارها، فقد كان لها في الماضي حسن ودلال.

لقد كان يستطيع أن يرجح احتمال أن تكون بعض هذه الذرات هي ذرات جسد ظالم طاغية أو مخلوق قبيح. ولكن الخيام عدّها ذرّات طلعة بهية أو جدائل حسناء ذات دلال، لذلك لم يرَ الخيام في هذه الذرات التي يهينها الناس الآن إلا ماضيًا عزيزًا جميلًا، وما ذلك إلا لأنه شاعر ألفت نفسه الحسن واعتادت الخير، وامتلأ ذهنه تصور الجمال وخواطر الرأفة والمحبة.

وهذه الفكرة التي أدركها الخيام في أثناء تأملاته ليست بعيدة عن مفاهيم الإسلام، فنبي الإسلام عليه السلام يقول: إن الله يحب الرفق في العلوم كلها، وفي كتاب الله عز وجل نجد هذا الرفق وصفًا لعباد الرحمن[1]: "وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونًا". إن التعامل برفق مع كل ما في الكون حتى الجماد منه مبدأ يتفق تمامًا مع روح الإسلام الذي يرى بين الكائنات كلها رباطًا يجمعها ويصلها بمبدعها وخالقها، أليست كلها تسبح الخالق؟ "وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم". إن الشعور بنوع من التآلف مع الكون بكل ما فيه حقيقة يدركها كل من عرف الله، ويجد لها مسوغات أكثر وأعمق من ذلك السبب الذي قدمه الخيام، فهذا الشعور بالتآلف والانسجام مع الكون كله ومضة روحية تسطع بين الحين والآخر في قلوب أصحاب الحس المرهف والوجدان الصافي الطموح.

ارتكابه الآثام وطلب العفو من الله والمغفرة التوبة إليه، يقول[2]:

تعمر الحانة بشربنا الخمرة، وفي أعناقنا دم ألفي توبة،
أنا إن لم أتب، فماذا تصنع الرحمة؛ إنما الرحمة تزدان بآثامنا!

فهو يتجه نحو التوبة متعثرًا، يسقط تارة، وينهض أخرى، يقوم حينًا، ويضعف حينًا آخر أمام إغرائها فيحتسيها، يتوب مرات عدة، ولكن لا يلبث أن يتبدد عزمه أمام الخمر؛ فيعود إليها مرة أخرى. وكم كان تعبير الشاعر بليغًا في قوله واصفًا حالته عند احتساء الخمر، وفي عنقنا دم ألفي توبة!

---

[1]- سورة الفرقان، الآية: 63.

[2]- الصراف، أحمد: المرجع السابق، ص: 260.

آبادی میخانه ز می خوردن ما ست — خون دو هزار توبه در کردن ماست
کر من نکنم کناه رحمت جه کند — آرایش رحمت از کنه کردن ماست

فمن هذا القول نعرف أنَّه تاب وعزم على ترك الخمر غير مرة، ولكنه حتى ذلك الوقت لم ينجح بعد في الإقلاع عنها تمامًا، ومن بلاغة هذا التعبير أيضًا أنَّه يصور مدى معاناته بسبب شعوره بالفشل والرجوع عن توبته في كل مرة. لقد كان يؤلمه هذا الفشل أشد الألم، ولذلك كان احتساؤه الخمر في تلك المرحلة خاليًا من أية لذة ومتعة. وليس هذا فقط؛ بل كان مصحوبًا بهذا الشعور المؤلم بأنَّه قد سفك دماء توباته العديدة. ونقض ما عاهد الله عليه، إنَّه ما زال يشرب الخمر، ولكنه بشعور مختلف تمامًا عن شعوره في أول هذه المرحلة ؛ إذ لم يجد الخيام في شرابه متعة ولا راحة؛ بل أصبح يسيطر عليه الضيق والندم؛ وتحت وطأة هذا الشعور الشديد بالندم نراه يحاول أن يلتمس مخرجًا، فيقول ما دامت هناك رحمة فلا بدَّ من الآثام، وكأن وجود الرحمة يقتضي وجود الإثم؛ بل تدفعه شدة رغبته في العفو وتلهفه إلى المغفرة إلى أن يقول: إن ارتكابنا الآثام يزيّن الرحمة؛ أي إنَّ هذه الذنوب تهيئ للرحمة مجالًا تتجلى فيه، وتؤدي مهمتها، وتبدو في أجلى صور.

والخيام هنا –كما تظهره الرباعية– في لحظات ارتكاب الإثم، ولكنه في الوقت نفسه ليس غافلًا عن الله؛ بل هو راجٍ عفوه طالب غفرانه، إنَّها صورة شاعر في لحظة من أدق اللحظات وأحرجها. يعبّر فيها تعبير شاعر يشقيه ترديه في الإثم وهو مرهف الحس، مكدود الذهن، معذب الوجدان يحاول أن يجد مخرجًا لضعفه البشري، ويؤلمه أن يرى نفسه قد سفك دماء توباته، وكان حريصًا عليها راغبًا فيها. إنَّ حديثه هنا متفق تمامًا مع الحالة النفسية التي تعرض لها في هذه المرحلة، فهو يحاول بمثل هذه الأقوال أن يهدئ من روعه، ويلطِّف من فزعه وألمه. يقول الخيام فيما معناه[1]:

أحسو المدام ولا أعربد قط، أو كفي تمدّ إلا إلى القدح،
تدري لما اخترت الطلا؟ كيلا أرى يا صاح مثلك مولعًا في ذاتي؟

يبدو أنَّ الخيام قد أُنتُقِدَ انتقادًا شديدًا لاحتسائه الشراب، فأخذ يدافع عن نفسه، فهو وإن كان يشرب الخمر، إلَّا أنَّه لا يعربد كما يعربد غيره من السكارى الماجنين، ولا يمدّ يده إلا إلى كأس الشراب، فإنه هنا يشير إلى أولئك المتورعين من شرب الخمر المتطاولين على أقوال الناس وحقوقهم، ويرى الخيام أنَّ امتداد يده إلى كأس الخمر أهون وأقل سوءًا من امتداد غيره إلى أموال الناس، وهو محق في هذا، ولكن ينبغي ألَّا يعدّ ذلك ذريعة لشرب الخمر، فأخطاء الإنسان لا يسوغها ما يرتكبه غيره من أخطاء أشد؛

[1]- النجفي، أحمد الصافي: المرجع السابق، ص: 22.

من باده خوردم وليك مستى نكنم — الا بقدح دراز دستى نكنم
دانى غرضم زمبر ستى جه بود — تا همجو تو خويشتن برستى نكنم

بل يظلّ لكلٍّ جزاؤه، ولكلٍّ حسابه بقدر ما ارتكب، ولكنه كما قلنا في موقف الدفاع يحاول أن يجد لنفسه مسوغًا لخطئه.

وفي النصف الثاني من الرباعية يواصل الخيام دفاعه عن نفسه، وهجومه على خصمه، ولكن بصورة أشد، فيوضح أنَّه وإن عُدَّ فعله هذا عبادة للخمر، فهو إنَّما يفعل ذلك تجنبًا للوقوع فيما هو أخطر وأسوأ، وهو عبادة الذات، وتأتي كلمة (مثلك) بمنزلة هجوم عنيف على الخصم الذي يراه الخيام غير محق في اتهامه إياه بشرب الخمر؛ لأنه تورَّط فيما هو أفظع وأسوأ؛ وهو العجب بالنفس.

فقد قال رسول الله (ص) لصحابته[1]: لو لم تذنبوا لخشيت (لخفت) عليكم ما هو أشد من الذنوب جميعًا. قالوا: ما هو يا رسول الله؟ قال: العجب بالنفس.

ويعدُّ العجب بالنفس أشد من الذنوب جميعها؛ لأنَّ الذنوب الأخرى عندما يعقبها ندم واستغفار وتوبة يرجى غفرانها، وعندئذٍ تمحى آثارها السلبية السيئة. أمَّا العجب بالنفس فيعني أنَّ صاحبه يرى نفسه خاليًا من الأخطاء جديرًا بالإعجاب. وهذا مناقض للحقيقة التي بينها الرسول (ص) في قوله[2]: "كل ابن آدم خطّاء وخير الخطائين التوابون". ولهذا يعدُّ العجب بالنفس دليلًا على شدة الجهل بهذه الحقيقة الأساسية، كما يدلُّ أيضًا على وقوع صاحبه في الخطأ الأكبر؛ إذ يتوّهم استغناءه عن عفو الله، ومثل هذا المتكبِّر المغرور يعدّ أسوأ المذنبين جميعًا.

كان الخيام إذًا على حق في عدِّه العجب بالنفس وتوهم الخلو من الذنوب أشد وأسوأ من شرب الخمر، ولكن أخطأ حين عدّ هذا مسوغًا لشرب الخمر، فالأخطاء الكبيرة لا تسوغ للأخطاء الصغيرة[3].

أخبرني، من ذا الذي لم يرتكب إثمًا في هذه الحياة؟
وقل لي: كيف عاش ذلك الذي لم يرتكب إثمًا
إني أفعل السيئات وأنت تجازيني جزاء سيئًا
فقل لي: ما الفرق إذًا بيني وبينك

---

[1]– البيهقي، شعب الإيمان، رقم الحديث: 6765.

[2]– شبكة السنة النبوية: أخرجه ابن أبي شيبة، والترمذي (2499)، والبيهقي في شعب الإيمان.

[3]– النجفي، أحمد الصافي: رباعيات عمر الخيام، ص: 8؛ انظر أيضًا: الصراف، أحمد حامد: المرجع السابق، ص: 208، تمت الإفادة من ترجمتي الشاعرين:

ناكرده كناه در جهان كيست بكو وآن ك سكه كنه نكرد زيست بكو
من بد كنم وتو بد مكافات دهى بس فرق ميان من وتو جيست؟!

يبدو أنَّ الخيام مضطربًا جريئًا، ولكن لنتلمس له العذر، فهو ما زال في أول الطريق، حديث العهد بمخاطبة الذات الإلهية، لم ترقَ لهجته بعد، ولم يتهذب تعبيره بالقدر اللائق؛ لأنَّه لم يألف بعد مناجاة ملك الملوك.

ولعل من أسباب تعثره في المناجاة هنا؛ فضلًا عما سبق حساسيته المفرطة ونزوعه إلى النقاء والكمال، فقد كان يستطيع أن يقول أخطأت يا إلهي فاعفُ عني، فلما راح يتساءل هكذا: أخبرني من ذا الذي لم يرتكب إثمًا في هذه الدنيا؟ قل لي: كيف عاش الذي لم يرتكب إثمًا؟

نستشف من هذا التساؤل أنَّه كان يتمنى أن يرى نفسه طاهرًا نقيًا بلا أخطاء، فإذا به يجسد نفسه مقترفًا إحدى الكبائر في هذه المرحلة كان يعذبه أن يرى أخطاءه ويشعر بتقصيره.. آلمه ارتكابه هذا الإثم وهو يعلم تمامًا عاقبة ذلك، وهذا هو ما دفعه إلى التساؤل

لقد كان يتمنى أن يعيش حياة بلا آثام، ولكن لا سبيل إلى ذلك، لقد خلق الله الإنسان وخلق معه من ضعفه البشري الذي يضطره إلى ارتكاب المعاصي، ذلك قدر الإنسان.. لا دخول إلى رحاب الله إلا من باب التوبة والندم والاعتذار.

والنصف الثاني من الرباعية هو الذي يتضح فيه تعثره أكثر، فالله تعالى عندما كان يعاقب المسيء يظل أيضًا متفضلًا عليه؛ إذ لم يعاقبه بكل ما يستحقه من جزاء سيئ، ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم ما ترك عليها من دابة، ويقول أيضًا[1]: "وما أصابكم من مصيبة فيما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير". فقد كان الخيام في هذه المرحلة مضطرب التفكير فلم ينتبه إلى أن الله عفو غفور رحيم حتى عندما يعاقب، فما عفا عنه أكثر ممَّا عاقب عليه، ولكن الهلع الشديد الذي استولى عليه بعد أن تنبّه إلى سوء ما فعل، فأخذ يطلب الصفح ويلتمس الغفران، فجاء اعتذاره مترنحًا على هذا النحو.

[1]– سورة الشورى، الآية: 30.

المصادر والمراجع:

أولًا: القرآن الكريم:

1. سورة آل عمران.
2. سورة الشورى.
3. سورة الضحى.
4. سورة الفرقان.
5. سورة النور.

ثانيًا: المصادر:

1. ابن الأثير: الكامل في التاريخ "كامل التواريخ"، حوادث 467.
2. أبو الحجاج، يوسف بن سليمان بن عيسى الأعلم الشنتمري: شرح حماسة أبي تمام؛ تجلي غرر المعاني عن مثل صور الغواني والتحلي بالقلائد من جوهر الفرائد في شرح الحماسة، تحقيق وتعليق: علي المفضّل حمّودان، مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث، جـ1، المجلد(1)، 1413 هـ/1992.
3. البيهقي: شعب الإيمان "على الشابكة".
4. سمرقندى، نظامى عروضى: "أحمد بن على" "جهار مقاله"، في المقالة الثالثة (من أقدم الوثائق التاريخية).
5. سمرقندى، نظامى عروضى: "أحمد بن على" جهار مقاله، زبان وفرهنك ايران0، تصحيح: على حصورى، ط تهران، 1345هـ.ش، جاب دوم.
6. السمرقندي، النظامي العروضي: جهار مقاله، ترجمة: عبد الوهاب عزام؛ ويحيى الخشّاب، 1949.
7. الشهرستاني: الملل والنحل.
8. القفطي، أبو الحسن علي بن يوسف: إخبار العلماء بأخبار الحكماء، تصحيح: محمد أمين خانجي، دار السعادة، مصر، 1326هـ.

ثالثًا: المراجع:

1. إقبال، عباس: مقاله، راجع: باحوال حكيم عمر خيام نيسابورى، مجله شرق، سال اول، د.ت.
2. براون، إدوارد: تاريخ الأدب في إيران "من السعدي إلى الفردوسي" نقله إلى العربية د. إبراهيم أمين الشواربي، ط1، مكتبة الثقافة الدينية، 1424هـ/2004م.

3. البوريني، حسن؛ والنابلسي، عبد الغني: شرح ديوان ابن الفارض "دواوين شعرائنا"، جـ2، دار التراث، بيروت، د.ت.
4. بوش، فخري: تأثير أبي العلاء المعري في رباعيات الخيام، رسالة ماجستير، مخطوط، جامعة عين شمس، 1997م.
5. جمال الدين، محمد السعيد: الأدب المقارن، ط1، دار ثابت، القاهرة، 1989م.
6. جمعة، حسين: مرايا للالتقاء والارتقاء بين الأدبين العربي والفارسي (دراسة)، من منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2006م.
7. حديدي، جواد: برخورد انديشه ها، تهران، انتشارات توس، شماره 147.
8. الحنفي، عبد المنعم: عمر الخيام والرباعيات، القاهرة، 1994.
9. خانلرى، زهراى: فرهنگ ادبيات فارسى، انتشارات بنياد فرهنگ ايران، 1348هـ.
10. الخيام، عمر: رباعيات الخيام، ترجمة: مصطفى وهبي التل (عرار)، حققها واستخرج أصولها: يوسف بكار، ط1، دار الجيل، بيروت، ومكتبة الرائد، عمان، 1990م.
11. خيام، عمر: رباعيات خيام، تصحيح: محمد على فروغى، جاب تهران، 1332هـ.ش.
12. الخيام، عمر: رباعيات خيام، متن درست وكامل رباعيات اصيل خيام با مقابله نسخه، تصحيح: مرحوم محمد على فروغى، تصادير از: محمد تجويدى. خط از: جواد شريفى با تصادير رنكين از انتشارات مؤسسه امير كبير، تهران، 1333، جاب افست محمد على علمى.
13. دانشفر، حسن: درباره ى رباعيات الخيام با مقدمه ى استاد مجتبى مينوى، طهران.
14. رضا زاده، صادق: تاريخ أدبيات إيران، جـ2، تهران، 1352هـ.ش.
15. الزركلي، خير الدين: الأعلام، جـ5، ط8، د.ت.
16. شفق، رضا زاده: تاريخ الأدب الفارسي، ترجمة: محمد موسى هنداوي، دار الفكر العربي، 1947.
17. شلال، أحمد شاكر: الخيام عصره، رباعياته، رسالة دكتوراه، كلية الآداب، جامعة القاهرة، 1955م، الرسالة مخطوطة في معهد اللغات الشرقية في القاهرة.
18. الصراف، أحمد حامد: عمر الخيام الحكيم الفلكي النيسابوري، حياته، علمه، رباعياته، بغداد، 1949.
19. صفا، ذبيح الله: تاريخ أدبيات در إيران، جـ2، تهران، 1342هـ.ش.
20. عزام، عبد الوهاب: صحيفة الجامعة المصرية، السنة الثالثة، العدد(2)، 1933.

21. القزويني، محمد عبد الوهاب: حواشي جهار مقاله لنظامي عروضي سمرقندي، ترجمة: عبد الوهاب عزام، ويحيى الخشّاب، 1949م.
22. قنديل، إسعاد عبد الهادي: فنون الشعر الفارسي، د.ط، مكتبة سعيد رأفت، د.ت.
23. الكردي، محيي الدين صبري: جامع البدائع (ابن سينا وعمر الخيام)، "مجموعة رسائل، تبلغ سبع عشرة رسالة"، مطبعة السعادة، مصر، 1917م.
24. مراد، حلمي: رباعيات الخيام وكتب أخرى "كتابي"، د.ط، د.ت.
25. المنجوري، محمود: عمر الخيام كما أعرفه، المقتطف، فبراير، 1944.
26. النجفي، أحمد الصافي: رباعيات عمر الخيام، تهران، د.ت.
27. نفيسى، سعيد: تاريخ ونظم ونثر در ايران ودر زبان فارسى، جلد اول، تهران، 1344هـ.ش.
28. هدايت، رضا قلى خان: مجمع الفصحاء، ج2، جلد اول، تهران، 1339 هـ.ش.

رابعًا: المراجع الأجنبية:

1. Barichchrk Asra: The Rubai'Yat Of Umar Khayyam, New York, 1975.
2. Edward Fitzgerald, Rubaiyat Of Omar Khayyam– Great Britain, 1859.
3. Mohsen Ramasan, Rubaiyat Of Omar Khayyam Tahran.

[1] . شبكة السنة النبوية، أخرجه ابن أبي شيبة، والترمذي (2499)، والبيهقي في شعب الإيمان.